فى دولة الشعر

- أحمد شوقى (صوت الشعب فى القصور)
- حافظ إبراهيم (شاعر النيل الثائر الساخر)
- أبو القاسم الشابى (رمز الحب والتجديد والثورة)
- أحمد رامى (غناء المعشوق بلسان العاشق)
- إبراهيم ناجى (شاعر أحب جميع النساء)
- نزار قبانى (ديوان العشق العربى)
- بيرم التونسى (شاعر الحب والشعب)
- صلاح جاهين (الثائر الراقص على أحزانه)

أحمد شوقي

أمير الشعراء وصوت الشعب فى القصور

- دمه تركى يونانى كردى عربى شركسى.
- مدح الخديوى والسلطان العثمانى فنال لقبى «بك» و «صاحب السعادة».
- منشاه فى الأندلس فجر ينابيع أشواقه.
- إبداعه أنجب المسرحية الشعرية العربية، وتغنى بالحب والوطن والفرح والحزن.

حمل أحمد شوقى لواء البعث الشعرى المصرى بعد محمود سامى البارودى، وكان وريث المتبنى فى الحكمة ووريث أبى نواس فى عمق المعنى وعذوبة اللفظ.

حلق أحمد شوقى بالشعر الى عنان الفضاء، وسكن به القصور والكهوف، وخاطب بالقوافى الملوك، ونطق بهموم الفقراء، وعا ش بين قصائده فى بحار الدنيا. كان شاعر القصر والشعب والحب والحرية والندامى، وأبكى وأحضك وأثار المشاعر الوطنية وأشعل نيران الحب فى القلوب، بايعة أرباب الشعر أميراً، وعاش ومات وإبداعه أغنيات منحوتة على جدار الزمن.

ولد أحمد شوقى فى القاهرة سنة ١٨٦٩م من أبوين ينتميان إلى دماء مختلفة، وورث عن أبيه الدم العربى والكردى والشكرسى، وورث عن أمه الدم التركى واليونانى، والتحق فى سن الرابعة بكُتاب الشيخ صالح، ثم انتقل إلى مدرسة المبتديان الإبتدائية، فالمدرسة التجهيزية «الثانوية» التى درس فيها بالمجان لتفوقه، وأراد له والده أن يدرس القانون، فالتحق بمدرسة الحقوق ودرس فيها سنتين.

وأُنشىء فى مدرسة الحقوق قسم للترجمة يتخرج فيه المترجمون الأكفاء، فدخل شوقى هذا القسم ليتخرج فيه بعد سنتين حاصلاً على الشهادة النهائية فى فن الترجمة وعين موظفًا فى القصر.

أرسله الخديوى على نفقته الخاصة إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب الفرنسى، وبعد أن أتم دراسته فى مونبليه وباريس عاد إلى مصر سنة ١٨٩٣، وخلال فترة بعثته، التى استمرت من يناير ١٨٩١م زار كلاً من إنجلترا والجزائر، ومدن وقرى الجنوب الفرنسى.

وندبه الخديوى سنة ١٨٩٦م، لينوب عن حكومته فى حضور مؤتمر المستشرقين

فى مدينة جنيف فى سويسرا، وكان برفقته شيخ العروبة «أحمد زكى باشا»، وفى هذا المؤتمر ألقى شوقى قصيدة «كبار الحوادث فى وادي النيل»، وبدأ نجمه فى الصعود.

صاحب السعادة

وكان الخديوى عباس حلمى الثانى، الذى جلس على عرش مصر سنة ١٨٩٢م، من أشد المعجبين بشوقى، فقرّبه منه، وجعله يسكن فى حى المطرية بالقرب من قصر القبة، مسكن الخديوى، وبعد فترة بنى شوقى له دار خاصة به وفى تلك الدار «كرمة ابن هانىء» وحديقتها الغناء جادت قريحة «شوقى» بأروع أشعاره الخالدة، ومنها «نهج البردة»، وكانت داره ملتقى الشعراء والأدباء، أمثال خليل مطران، وحافظ إبراهيم.

وكان شوقى يصحب الخديوى عباس حلمى الثانى، فى رحلته السنوية إلى تركيا، ويلقى قصائد المدح فى سلطان تركيا «عبد الحميد» الذى أنعم عليه برتبة «بك»، ومنحه لقب «صاحب السعادة».

وبدأ شوقى خلال تلك الفترة يؤازر بشعره الحركة الوطنية المصرية. وقد خلد أحداث جريمة الإنجليز فى «دنشواى» سنة ١٩٠٦م فى قصيدة اهتزت لها جنبات العالم العربى، وأغضبت مندوب الاستعمار الإنجليزى فى مصر اللورد كرومر، الذى هاجمه شوقى فى شعره.

حفظ له المستعمرون هذه المواقف، حتى إذا نشبت الحرب العظمى سنة ١٩١٤م، وفرضت الحماية والأحكام العرفية على مصر، نفى الإنجليز الخديوى عباس حلمى الثانى، وعينوا بدلاً منه السلطان «حسين كامل» ونفوا أحمد شوقى سنة ١٩١٥م، إلى إسبانيا، حيث قضى خمسة أعوام هو وعائلته فى برشلونة.

أمير الشعراء

فى سنة ١٩٢١م عاد أحمد شوقى إلى مصر شاعراً كبيراً، حيث استقبل استقبال الأبطال الفاتحين وشارك الشعب أفراح مصر وأحزانها، معبراً عن كل ما يمر بها من أحداث، من خلال مشاعر وطنية عميقة، مما جعل شعراء مصر والعرب يبايعونه فى حفل كبير أقيم فى دار الأوبرا المصرية سنة ١٩٢٧م، دُعى إليه أعلام الفكر فى العالم العربى، تحت رئاسة سعد زغلول.

وقام شعراء مصر والعرب يبايعونه أميراً للشعر، وبايعه حافظ إبراهيم، شاعر النيل قائلاً:

أمير القوافى قد أتيت مبايعًا
وهذى وفود الشرق بايعت معى

وبايعه شاعر القطرين خليل مطران قائلاً:

يا باعث المجد القديم بشعره
ومجدد العربية العرباء
أنت «الأمير» ومن يكنه بالحجى
فله به تيه على الأمراء

آمال وآلام

وظل شوقى يرتفع برايات الشعر معبراً عن آمال وآلام وطموحات كل العرب مشاركًا فى أفراحهم وأتراحهم، حتى كان كما قال عن نفسه:

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق
وكان العزاء فى أحزانه

فقد تجاوب شوقى تجاوبًا أصيلاً مع كل ما هزَّ الشرق من أحداث فقصائده فى نضال مصر وكفاحها، وقصائده فى كفاح العراق وسوريا وليبيا، وبقاع الشرق العربى ومغربه، تشير إلى أن قلب شوقى كان ينبض بما تنبض به قلوب الملايين، حتى سكت نبض الشاعر ليلة الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٣٢.

صورة وصفية

يرسم الدكتور شوقى ضيف، رئيس المجمع اللغوى، فى دراسة له بعنوان «شوقى ومكانته فى الشعر العربى الحديث»، صورة لأخلاق وشاعرية أحمد شوقى يقول فيها: «كان شوقى أميل إلى القصر منه إلى الطول، وكان ممتلئًا مستدير الرأس، مرتفع الجبهة، كث الحاجبين، وسيم الطلعة، فى عينيه اختلاج وتألق، وكان يُقبل فى شبابه على متع الحياة ناهلاً منها شرابًا صافيًا، لا فى باريس وحدها، بل أيضًا بعد رجوعه منها، ولعله من أجل ذلك سمى داره فى ضاحية المطرية، التى كان يسكنها قبل المنفى باسم «كرمة ابن هانىء»، على أنه مع ذلك، ومنذ هذا الدور من حياته يصدر عن إيمان عميق بالإسلام ورسول الله ﷺ، وقد أشربت روحه تعاليمه وما يشيع فيه من تسامح ومحبة».

شاعرية متعددة الوجوه

يأخذ البعض على «أحمد شوقى» أنه بدد جزءًا كبيرًا من وقته وطاقته فى المدائح والمراثى. إلا أن هذا القول ليس صحيحًا على إطلاقه، فقد تعددت جوانب وأغراض الشعر عند شوقى، وطوعت عبقريته الشعر لأغراض شتى، من المجتمع إلى السياسة إلى الطبيعة، إلى الغزل والمفاكهة وإلى كتابة المسرحية، فما كتبه فى مدائحه للرسول ﷺ سيظل من أعظم ما كتب، ويظل الناس مهما دارت دورة الزمان يرددون قول شوقى:

«ولِد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسُّم وسناء»

ووطنيات شوقى كثيرة، فقد كان مشاركًا فى كل ما مرَّ بمصر والعروبة من أحداث، وهو الذى رثى الزعيم مصطفى كامل، ورددت الجماهير شعره:

«المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما فى مأتم والدانى
ياخادم الإسلام أجر مجاهد
فى الله من خلد ومن رضوان»

وهو القائل فى منفاه:

«وطنى لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليه فى الخلد نفسى»

نظرة فابتسامة

وتغنى شوقى بالحب والعاطفة، وصارت كلماته لوازم يرددها المحبون:

«خدعوها بقولهم حسناء

والغوانى يغرهن الثناء

أتراها تناست اسمى لما

كثرت فى غرامها الأسماء

إن رأتنى تميل عنى كأن لم

تك بينى وبينها الأشياء

نظرة فابتسامة، فسلام

فكلام فموعد فلقاء»

رائد المسرحية الشعرية

ولدت المسرحية الشعرية فى الأدب العربى على يد شوقى، بعد أن ظلت المسرحية الشعرية منذ أواسط القرن التاسع عشر تخضع للاقتباس والترجمة، وقد كتب شوقى مسرحياته بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣٢م، بعد أن تُوج بإمارة الشعر واستقرت مكانته كشاعر غنائى متميز عن أقرانه من شعراء العرب فى تلك الفترة.

وقد كتب شوقى سبع مسرحيات هى «مصرع كليوباترا» التى كتبها سنة ١٩٢٧م، ودافع فيها عن ملكة مصر «كليوباترا» ضد تقولات أعدائها من الرومان ومؤرخيهم، وحاول أن ينفى عنها أنها «أنثى أفنت العمر فى الهوى».

وقد أخذ شوقى من صيغة التناقض بين الحب والواجب أساسًا لمسرحيتين أخريين هما: «قمبيز»، التى تقوم فيها ابنة فرعون مصر بالتضحية بنفسها فى سبيل إنقاذ مصر من غزو يهددها. وفى «مجنون ليلى» يقوم بين البطلة وتقاليد العرب وغرامها بقيس، نضال تصفه ليلى بقولها:

«أنا بين اثنين كلاهما النار. . بين حرصى على قداسة عرضى، واحتفاظى بمن أحب وضنى».

وفى مسرحية «أميرة الأندلس» يظهر أيضًا، الصراع بين العاشقين والتميز الاجتماعى، أما فى مسرحية «على بك الكبير»، فهو يصور على بك الكبير كبطل لتحرير بلاده من الاحتلال التركى، وفى «عنترة» جسد أيضًا الصراع بين العاطفة والتقاليد الاجتماعية.

أما فى مسرحية «الست هدى»، فقد جمع شوقى بين المرأة القادرة والمرأة ذات الحيلة فى خلق واحد. فالست هدى تفرض إرادتها على أزواجها المتعددين. وعلى صديقاتها وجيرانها.

مغرم بالطبيعة والتاريخ

ولم يفت شوقى أن يعبر عن شغفه بالطبيعة فى كل بقعة من الأرض، سواء أكانت فى وطنه مصر أم خارج وطنه، فيقول مخاطبًا «بنات شعره» فى قصيدة عن مضيق «البوسفور»:

«لأجلك سرت فى بر وبحر

وأنت، الدهر، أنت بكل قطر

حننت إلى «الطبيعة» دون مصر

وقلت لدى الطبيعة: أين مصر؟»

وكان «شوقى»، ثائرًا يدعو إلى الثورة، مطالبًا الشباب والشعب بأن يضعوا

حدًا لفساد الحكم وغلاء المعيشة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وكان يدعو إلى الأخذ بأسباب القوة من علم وتقدم وإقدام حتى تتحقق الأهداف.

«وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا»

شوقى والنقاد

وكان لابد لشاعر فى قامة شوقى وإبداعه الحافل بالخصوبة والتنوع أن تثور حوله المناقشات، وأن يظل شعره موضع نقد الكُتاب، طوال حياته، وقد شارك كُتاب مصر الكبار فى تلك الفترة فى «نقد» شعر شوقى ومهاجمته، وفى مقدمتهم طه حسين والعقاد والمازنى والدكتور محمد حسين هيكل، غير أن هؤلاء الكُتاب جميعًا لم يلبثوا بعد وفاة شوقى أن غيروا آراءهم وعادوا إلى إنصافه، بعد أن جردوه من إمارة الشعر.

الأبناء والأصدقاء

أنجب أمير الشعراء حسين وأمينة وعلى وقد ماتوا جميعًا. ولم يبق من الأحفاد غير «أحمد شوقى» ابن على، ويعيش فى هولندا، وأمينة مؤنس وتعيش فى باريس ونعمة رياض وتعيش فى القاهرة.

أما زوجته، فكانت خديجة شاهين، التى أحبت شوقى بهدوء وصمت «وبجنون»، وكانت أمينة أحب أبنائه إليه.

وتوجد مقبرة أحمد شوقى فى حى السيدة عائشة فى القاهرة، أما أصدقاء أمير الشعراء، فكان أخلصهم وأقربهم إلى قلبه الدكتور محجوب ثابت، الذى قال شوقى العديد من الأشعار الفكاهية يصف سيارته وبعض طلباته، والشيخ عبد العزيز البشرى، وفكرى أباظة، الذى كان يلقى القصائد بدلاً عنه، وكذلك وهيب دوس والدكتور محمد حسين هيكل، وكامل الكيلانى والشاعر حافظ إبراهيم، والشيخ التفتازانى الكبير، وعبد الرحمن الجويلى. ومن المفكرين

العرب، محمد إسعاف النشاشيبى وعبد العزيز الثعالبى ومحمد كرد على وخليل مطران والأخطل الصغير «بشارة الخورى».

شوقى وعبد الوهاب

كانت علاقة شوقى بالمطرب محمد عبد الوهاب علاقة أقرب إلى التبنى، أكثر منها علاقة صداقة، فقد ارتبط به ارتباطًا شديدًا، وكان أهل بيت شوقى جميعًا يعرفون عمق هذه العلاقة، التى جعلت أمير الشعراء يخصص غرفة فى الدور الأول من «كرمة ابن هانىء» لاستقبال عبد الوهاب فيها.

فقد اكتشف شوقى مبكراً موهبة عبد الوهاب وكان يتوقع له مستقبلاً كبيراً فى دنيا الغناء والطرب.

وقد تحولت حجرة عبد الوهاب فى «كرمة بن هانىء» إلى مكتبة سمعية راقية المستوى تضم تسجيلات لجميع الأغانى التى غناها ولحنها محمد عبد الوهاب لأحمد شوقى.